جمهورية مصر العربية	**٢٥ من جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ**
وزارة الأوقاف	**٢٤ من مارس ٢٠١٧م**

(١)

سماحة الإسلام ونبذه لكل ألوان العنف

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، **وبعد:**

فإن الدين الإسلامي دين يتميز بالسماحة واليسر في كل شئون الحياة ، والمتأمل في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) يجد أن اليسر والسماحة من أبرز خصائص هذا الدين ، حيث إنه لا حرج فيه ولا مشقة ، ولا شدّة فيه ولا عُسْر، يقول الحق سبحانه:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، ويقول تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ).

وقد رسَّخ الإسلام قيمة التسامح في قلوب أتباعه ، فدعاهم إلى السماحة بمفهومها الواسع الشامل لكل معاني السهولة واليسر في العبادات والمعاملات ، مع التحلي بمكارم الأخلاق ،كالعفو عند المقدرة ، والصفح عن المسيء ، وكظم الغيظ، وسعة الصدر ، والتعايش السلمي بين الناس، والرحمة، والتعاطف وغير ذلك مما يحمله التسامح من معانٍ راقية.

ولذلك انتشر الإسلام بتعاليمه السمحة ، وأخلاقه الكريمة ، وقيمه النبيلة ، كما انتشر بأخلاق نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، وأصحابه (رضي الله عنهم) ، مما يبرهن

على أنه بريء من العنف والإرهاب والتطرف ، وأنه دين اليسر والسماحة ، وقد أكد نبينا (صلى الله عليه وسلم) على ذلك في سنته الشريفة فقال : (يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا) ، فتعاليم الإسلام كلها تدعو إلى اليسر والسماحة ونبذ العنف والتشدد في القول والعمل، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ).

على أن السماحة ليست كلمة تقال ، أو شعارًا يرفع ، وإنما هي منهج حياة ، ومبدأ من مبادئ الإسلام ، فهي تتجلى في أحكامه ، وتشريعاته ، وعباداته، ومعاملاته، وقيمه، وأخلاقه ، ومن ثمَّ كان لها أكبر الأثر في سرعة انتشار الإسلام وارتفاع رايته ، ودوام بقائه بين الأمم والشعوب التي اعتنقته ، لذلك امتن الله تعالى على نبيه (صلى الله عليه وسلم) بإرساله رحمة للعالمين ، فقال سبحانه: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}، وقال تعالى:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}، وعندما سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: (الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ).

وتتجلى سماحة الإسلام في مظاهر كثيرة ، منها:

السماحة في العقيدة، فالإسلام لم يجبر أحدًا على اعتناقه ، بل كفل حرية الاعتقاد للجميع ، قال تعالى:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...}، وقال تعالى:{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}، بل جعل الإيمانَ بالأنبياء جميعًا جزءًا من عقيدة المؤمن التي لا يكتمل إيمانه إلا به ، فقال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}، ويتجلى هذا التسامح في مخاطبة أهل

الكتاب بالأسلوب اللين السمح ، قال تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}، والأمر بحماية مقدساتهم ودور عبادتهم ، قال تعالى:{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}، وإلى هذا النهج رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بقوله : (إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ).

السماحة في العبادات التي تقوي العلاقة بين الإنسان وربه ، من صلاة ، وصيام وزكاة ، وحج ، فقد تميزت تلك العبادات بالسماحة واليُسْرِ في أحكامها وتشريعاتها وطرق القيام بها ، مُراعاةً للطَّبيعة البشريَّة ، فلا يكلف الله نفسا فوق طاقتها ، يقول سبحانه: {لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها مَا اكتَسَبَتْ}، ويقول (عز وجل) : {يرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}، فصلاة المسافر غير صلاة المقيم في عدد ركعاتها ؛ وصلاة الحرب والخوف غير صلاة السلم والأمن في كيفيتها.

وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإطالة في الصلاة مراعاة للمريض، والشيخ الكبير ، والطفل الصغير ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِه)، وكذلك رخص الإسلام للمسافر والمريض وغيرهما في الإفطار وأو جب عليهم القضاء أو الفدية ، ونبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ)، ولم تفرض الزكاة إلا على من ملك النصاب وحال عليه الحول ، واكتملت فيه شروط وجوبها ، والحج لم يفرضه الله

تعالى إلا على المستطيع الذي يملك زاد الحج وراحلته ، قال تعالى:{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}.

السماحة في المعاملات بين الناس ، فقد جاء الإسلام بتنظيم المعاملات بين الناس، لأنهم أحوجُ إلى السَّماحةِ واليسر فيما بينهم ، ليعيشوا في أمن وعدل ورخاء ، لذا حثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على السماحة ورفع المشقة والحرج عن الناس في البيع والشراء ، والاقتضاء ، فقَالَ: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى).

فالسماحة في البيع : ألا يكون البائع شحيحًا بسلعته ، مغاليًا في ربحه ، محتكرًا لسلعته ، والسماحة في الشراء : أن يكون المشتري سهلاً مع البائع فلا يبخس الناس أشياءهم ، والسماحة في الاقتضاء : أن يطلب الرجل حقه أو دينه بلين ورفق وسماحة ، قال تعالى :{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}،كذلك حثَّ الإسلام على السماحة في القرض ، ورغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في التجاوز عن المعسر ، حيث قال: (حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَكَانَ مُوسِرًا ، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم): (كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ : إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ).

ولم تقتصر السماحة في الإسلام على المسلمين فحسب ، بل شملت غيرهم، حتى في حالة الحرب ، فقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن قتل غير المحاربين من الأطفال، والنساء ، والشيوخ ، والعجزة ، وكَانَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: (اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...)، وفي رواية : (... ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ، ولا صغيرًا ولا امرأةً).

وقد حافظ الإسلام على دماء غير المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، ولم يجعل عدم دخولهم في الإسلام سببًا في ظلمهم والاعتداء عليهم ، قال تعالى:{لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، والأمر بالبر في الآية دليل على سماحة الإسلام وعظمته ، حيث إنه حرّم الإساءة والتعرض بالأذى لكل معاهد أو مستأمن ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا).

ولو تتبعنا سيرته (صلى الله عليه وسلم) لوجدنا فيها ضروبًا من التسامح والموادعة ، فكان (صلى الله عليه وسلم) مثالاً للكمال البشري في حياته كلها ، وما أعظم التسامح في قوله (صلى الله عليه وسلم) يوم الفتح لمن ناصبوه العداء وقد ملأ الرعب قلوبهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء). وهكذا حثَّ الإسلام على السماحة واليسر ، ونهى عن التطرف والغلو والعنف بكافة أشكاله وصوره.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الإسلام بشريعته السمحة – منذ نزول الوحي على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)– يمنع أي اعتداء أو ظلم على أي أحد ، كما يتبرأ ممن يحملون السلاح على الأمة ويخرجون على المجتمع؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا).

أما ما يحدث من تكفير وتطرف وغلو في مجتمعنا ، وما ينشأ عنه من ترويع وإرهاب وسفك للدماء البريئة ، وتفجير للمساكن والمركبات والمنشئات العامة والخاصة ، فكلها أعمال إجرامية دخيلة على بلادنا وعلى عاداتنا وتقاليدنا ، والإسلام بريء منها ، وكذلك كل مسلم يؤمن باللّه واليوم الآخر بريء منها ، فديننا الحنيف حذّر من إرهاب الآخرين ، ونهى عن ترويع الآمنين وتخويفهم ، وحرّم التعدي عليهم؛ لأنه إجرام تأْباه الفطرة وترفضه الشريعة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا).

لقد جَسَّدَ النبي (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) السماحة في حياته عمليًّا ، فأصبحت صورة مضيئة تشهد بعظمة الإسلام ، فعندما أغلظ أعرابي لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قابل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هذه الغلظة بالتسامح لا بالعنف ، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً ، حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَ – أَوْ صَفْحَةَ – عُنُقِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ).

وكذلك سار الصحابة على نهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجسَّدوا السماحة واقعًا عمليًّا ، فها هو أبو بكر الصديق (رضي الله تعالى عنه) كان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وَفَقْرِهِ ، فَلَمَّا وَقَعَ المُنَافِقُونَ في عِرضِ ابنَتِهِ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) وَكَانَ مِسطَحٌ فِيمَن وَقَعُوا ، قَالَ الصِّدِّيقُ : وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[النور:٢٢] فَقَالَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ: " بَلَى وَاللهِ ، إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا ".

إن الواقع المعاصر يتطلب من كل إنسان تطبيق تعاليم الإسلام وأخلاقه وقيمه ردًا على من زعموا أن الإسلام دين يدعو إلى العنف والقسوة في عباداته ، ومعاملاته وتشريعاته، وتصحيحًا للمفاهيم الخاطئة حول هذا الدين ، وبيانًا لعظمته فسرعة انتشار الإسلام كانت بسماحته ونبذه لكل ألوان العنف ، ويسر أحكامه ، وقوة حجته ، فلم تكن القوة يومًا عاملاً في نشره ، وإنما انتشر بأخلاق دعاته وأتباعه ، فما أحوجنا إلى نشر هذا الخلق تطهيرًا لنفوسنا ، وحمايةً لأوطاننا ، وإسعادًا لمجتمعاتنا .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم